الفصل التاسع
تربية المرأة اليابانية

الحديث عن المرأة اليابانية لا يقتصر على المشكلات التي تصدت لها وإنما سيكون متنوع بين التربية والبطولة والمعاني الجميلة التي تحملها أي سيدة يابانية في هذا الشرق البعيد كل البعد عن التأثر بالجانب الغربي في المساواة لأن اليابان لها معتقدات ثابتة عن التمايز بين الرجال والسيدات. ربما تكون قاسية وربما مازلن ضحايا للرجال عبر قرون طويلة ولكن النهج النسوي لسيدات اليابان غالبا ما يكون مشاركا في النيل من أنفسهن عن عمد وباستمرار فضلا عن أنه في اليابان أكثر من أي مكان آخر يعاني الرجال مثلما تعاني النساء وأنه في كل عمل من أعمال القهر يكون القاهر والمقهور كلاهما ضحية ،فمن الصعب أن تجد سيدة يابانية لديها الشجاعة للوقوف بكبرياء خارج دوائر الأعراف في مجتمع نسيجه معقد ودرامي وأقل ما توصف به النساء اليابانيات أنهن لم يبنين شيئا مشتركا يذكر والمسار مجهول وموحش ومحفوف بالمخاطر لكل من تحاول الخروج عنه، فالمجتمع الياباني يفتقر إلى التعاطف بين الجنسين ومشكلة غياب

المشاعر الحميمة التي هي جزء من المجتمع الياباني لا تجد لها حلا لا في الزواج ولا خارج الزواج، فماضي اليابان هو الذي جعل منها أرضا يربط أهلها المشاعر الحميمة بنوع من الفساد ، وتواءمت النساء في بيوت المحاربين القدماء (الساموراي) مع أقصى أنواع التمييز بين داخل البيت وخارجه، وكانت الزوجة حبيسة الغرف الداخلية النائية (おく Oku) ومن ثم كانت تسمى (おくさん Oku san)، أي الشخص في الداخل، ولم يكن اشتراك النسوة في الحياة العامة أمرا واردا على الإطلاق، وينبه العالم النفساني (Masao Miyamoto) إلى تأمل كلمة مثيرة للاهتمام في هذا الصدد، إلا وهي (安心 nshin) ومعناها الحرفي " الأمان " أي الإحساس بالراحة والسكينة، ويعبر عنها في الحروف المصورة برسم امرأة داخل البيت.

وفي ثقافة الساموراي لم يكن ثمة مكان للحب أو بالأحرى لم يكن له مكان معلن، والعلاقات الحميمة كانت مرتبطة بالسرية، وبالضعف أيضا، وكان الزواج نوعا من الارتباط بين العائلات، وكأنه نوع مبكر من الاندماج بين شركتين. والأسلوب الذي كانت تتم به الزيجات في أوروبا في العصر الوسيط مشابه تماما لهذا الأسلوب، ولكن الأساطير والتراث الأدبي نوع الحب في الغرب بأنه كان مختلفا عن الشرق، ومظاهر الحب الاحتفالي الذي أخترعه فرسان العصور

الوسطى تتناقض بشدة مع الرؤية اليابانية الأكثر حسية، فاليابانيون لا يرون في الحب إلا جوانبه الجسدية، بعيدا عن أي أفكار أو تصورات لمشاعر تتجاوز ما هو حسي، ولكن من المؤكد أنه كان ثمة حب مثالي في اليابان أيضا، كما كان ثمة حب جسدي في أوروبا، والفارق الحقيقي بين الاثنين هو أن الحب كان يعبر عنه علنا في الغرب، بينما أصبح في اليابان أمرا شديد الخصوصية[٤٤]."

وفي أواخر عام ١٦٧٢ نشر المفكرالكبير/فوكوزاوا يوكيتشى كتابا بعنوان:女大学(Onaa Diagaku) وفيه دروس موسعة للنساء، ذكر فيه الكاتب مجموعة تعاليم وإرشادات للنساء في تعليمهن السلوك الأمثل لبنات جنسهن مثل "لا تكتبي رسائل للشباب" و " لا تغفلي " – " لا تذهبي إلى الأماكن المزدحمة " وهذه الدروس اكتسبت شهرة واسعة ولو أن فيها توصيف قبيح للنساء نصه (أن للمرأة خمس نواقص: العقوق والنكد والتشهير والغيرة والجهل)، وتصيب هذه النواقص سبعة أو ثماني نساء من كل عشرة!، وهذا ما يجعل النساء في مرتبة أدني من الرجال، واستمرت الإرشادات: بصلحي من أخطائك والجهل أسوأ النقائص على الإطلاق ،وهو الأب الشرعي للأربع الأخريات (النساء هن السلبية ، والسلبية هي الليل أو الظلام) .

---

[٤٤] المرجع السابق .

هكذا خلقت اليابان على حد تعبير تانيزاكي جون اتشيروا Tanizaki Jonichiroعالم أشباحها وهو عالم تحتل فيه النساء أقاصيه السحيقة ،وإن المرء ليعجب ويتساءل اليوم أي ذكريات بين الجنسين لما كانت عليه القدرات الخارقة للنساء تلك التي دفعت الرجال للإقدام على هذه الإدانة الساحقة الماحقة للجنس النسائي والحق أن حجب النساء عن الضوء يعبر عن خوف لا عقلي بدائي يمت لأسباب الوجود الأولي وإلا فما الذي يدعو إلى حرمانهن بكل هذا التصميم.

وكانت فلسفة البوشيدو هي تعليم الفتاة استخدام السيف والخنجر والرماية وكانت الفتاة اليابانية معتادة على حمل خنجر صغير يطلق عليه (Kai Ken かいけん) للدفاع عن بكارتها أذا اقتضت الظروف ذلك أو الانتحار لأن التقاليد لا تعافيها إن كانت ضحية عفافها .حتى أن الديانة المسيحية التي هي أشد حربا وأكبر نقمة على مبدأ الانتحار لم تنكر على (دومينيا وبلاجيا) انتحارهما ذودا عن شرفهما . ويروى في اليابان قصة شابة في عذوبة الصبا وقعت أسيرة في قبضة بعض الجنود، ولما أدركت أن هؤلاء تحدثهم أنفسهم بإشباع شهواتهم من جسدها ،طلبت منهم أن يأتوها بورقة وريشة لترسل لأختها رسالة وتوسلت

إليهم في طلبها قبل أي شيء، فلما وجدت الفرصة سانحة للذود عن شرفها ألقت بنفسها في جب عميق كان بجوارها .

تعاليم البوشيدو تفترض في المرأة العذوبة والرقة والظرف وحب الموسيقى والأدب والفنون الجميلة على إطلاقها والتي تعتبر ضرورة اجتماعية وواجب أولي على المرأة في اليابان، وكان لمواهبها آثارها الواضحة في تاريخ الأدب الياباني، وأكبر مشاهير الأدباء اعترفوا أن أبدع ما قيل في الشعر وأعذبه من صنع المرأة اليابانية، هذه التقاليد وسعت الخلاف بين الفكر الياباني والفكر الغربي في كيفية الاستمتاع والتلذذ، ففي حفلات الغرب تجد الفتيات يرقصن ويبرزن كل ما تيسر لهن من مفاتن ويختلطن بالرجال في جرأة غير موجودة في القيم اليابانية التي تأبى هذا لاعتبارات أخلاقية، وواجبا تفرضه سعادة العائلة والحياة الاجتماعية لأن تقاليدهم تقضي بالإتيان بطائفة من الغانيات يقضون منهن كل ما يثيره الجنون والإفراط بالمرح من جسدهن . أما الزوج والزوجة فهما وحدة واحدة، وهذه النظرية تتنافر مع النظرية الغربية باستقلال الشخصيتين في المصالح والمنافع .

ظلت نساء الساموراي لفترة مغلقا عليهن الأبواب حتى جاء عصر ميجي(١٨٦٨) الذي شرع في تحديث هذه التعاليم رغم انه لم يطلق الحريات كما هي في الغرب بل حد منها .

وقد كتب فوكوزاوا يوكيتشي福沢諭吉 (١٨٣٥-١٩٠١) كتابا بعنوان:(Shinonna Daigaku 新女大学) وفيه دروس موسعة جديدة للنساء ورفض حاد وتفنيد صريح لكل الأفكار التي نادت بالمساواة بين الرجل والمرأة، وكان دستور عصر ميجي – (Meiji kenppo) يقدم إطارا منحطا لمكانة المرأة فقد حرمها أولا من العمل السياسي شأنها في ذلك شأن الطلبة والمدرسون ورجال الجيش والشرطة وغيرهم، وأباح للنساء أن تكون لهن ملكيتهن الخاصة لكن دون أن يكون لها رأي في إدارتها إلا بموافقة زوجها . ونص القانون على أن الزوجة نفسها هي من ممتلكات الزوج وظلت هذه القوانين معمولا بها حتى عام ١٩٤٥

وجاءت تلفيقات كثيرة عن المرأة بمرور الأيام لتدخل ضمن تقاليد الأسرة اليابانية كتعليم المرأة التقليدية ليصبح أبناءها رعايا صالحين للإمبراطور، وأن تكون مقتصدة مدبرة لشئون منزلها لتساهم في تمويل الصناعة وهي في بيتها بمنزلة.

(تسورونوهيتوكوي) (つるのひとこい) وهو تعبير يعني في الأدبيات اليابانية أن لها الكلمة الأخيرة، وكانت هذه الترتيبات ضرورية في تركيبة الدولة – العائلة – لأن الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء اليابان ،وكان توصيف بيروقراطيو وزارة التعليم :"أن المرأة مكانها المنزل، وأن المنزل مكان عام حيث يتعين نسيان المشاعر

الخاصة فيه "ومن هنا باتت قضية الأشراف الخارجي قضية من قضايا المرأة التي تواجهها حتى عصرنا هذا .وبعد أصلاح ميجي Meij Restoration اصطبحت للنساء ضرورة في الصناعة.

ففي صناعات النسيج قدر عدد العاملات من النساء بنسبة ٨٠% في أوائل القرن العشرين التصنيع عدو لصورة المرأة المثالية التقليدية، ففي الطبقات الشعبية عملت المرأة في الدكاكين والمحلات التجارية والمزارع وكان أيضا من بينهن بنات الجيشا Geisha 芸者 وهن بنات تحترفن الدعارة

وسارت اليابان في طريق التخلص من الأفكار القديمة شيئا فشيئا، ففي سنة ١٩٨٧ رشحت ميتسوي نفسها لعضوية مجلس مدينة طوكيو وكانت من أبناء الريف وأبوها كان بقال وعاشت ميتسوي في أمريكا لفترة من الوقت وجاءت بمقولة جديدة وفكر جديد بعد أن نجحت في الانتخابات فأجبرت المجلس على أن يسقط من وثائقه الرسمية التعبيرات القديمة التي تحط من شأن المرأة ورفضت الاشتراك في حفلات الشاي الأخضر الذي تقدمه السيدات المسنات أثناء جلسات المجلس وسعت للترشيح للبرلمان، وبذلك دخلت بقدمها إلى عالم العزلة والوحدة الذي كان في انتظارها شأنها في ذلك شأن كل من سبقها بالمحاولة أمثال (أكيكو يوزانو Akiko yuzano) الشاعرة الأولى في اليابان المدافعة عن قضايا المرأة و

(ميتشـيكو فوكـو شـيما Michiko fukushima) المخرجـة السينمائية التي هجرت عائلتها .

وفي عام ١٩٩٢ تزوج الأمير/(ناروهيتو) الابن الأكبر وولي العهد من مواطنـة عاديـة تسـمى (ماسـاكو أوادا Masako wada) وكانت تشغل منصب في وزارة الخارجية اليابانية، درست في جامعة هارفارد وسردت الصحف اليابانية القصص عن كل شيء يخصها حتى أحذيتها وحقائب يدها، وحين دخلت القصر كانت من الذكاء بأن تطمئن الشعب الياباني أن كل شيء يسير في مساره الطبيعي وأن المقامات محفوظة. وغالبا ما كانت وسائل الأعلام تنشر عنها وعن اللغات التي تتحدثها وعن أصدقائها الأجانب. ولكن كان دوما الحديث ينتهي بأنها أيضا تستطيع الطهي أو أنها ربة منزل ماهرة إلى أن أعلن الإمبراطور في عناوين الصحف وصدر صفحاتها أنه سوف يقوم بحماية (أوادا) .ولكن السؤال هو :حمايتها ممن؟ والإجابة مفهومة لجميع الشعب الياباني بالقطع والمقصود حمايتها من وكالة شـئون البيـت الإمبراطـوري والمعروفـة بتقديسـها الأعمـى للمراسـم القديمة والتي أصابت والدة الإمبراطور قبل سـنوات بإنهيار عصبي نتيجة التمسك بالتقاليد . وفي عام ٢٠٠٥ حققت (أوادا) بتأثيرها النصر الأكبر بإعلان الإمبراطور تغيير دستور اليابان بالسماح للمرأة بتولي عرش اليابان.

لقد تناولنا مشوار المرأة في اليابان والتي تخطت تعاليم البوشيدو التي في الأصل كانت تكبر المرأة التي تتحرر من الخنوع وتتقرب من بطولة الرجال وخشونته الجبارة، والفتاة اليابانية مازالت تخضع لنفس التربية والعادات الأكتسابية التي ورثها الرجل ويربي بها وفقا لمقتضيات وأغراض وتقاليد راسخة لن تتزعزع، وتبدأ هذه التربية منذ الرضاعة وترمي هذه التربية إلى تنشئة امرأة تصلح للتربية المنزلية وإعداد جيل قوي ليس في ساحة القتال والحرب فقط وإنما مع الحياة العملية بكل ما فيها من جبروت وقوة وحنكة ومرونة .

ولا نستطيع أن ننكر أن طبيعة المرأة الرقيقة وإخلاصها يجعلها تكلف نفسها عناء تعلم الفن ومتاعب أخرى لا سبيل لحصرها حرصا منها على سكينة البيت وتخليدا للراحة، فالمرأة تضحي بكل ما تستطيع في سبيل أبيها وزوجها، فهي على استعداد لأن تجرح قلبها وشبابها وتتظاهر بالأعراب عن أي شيء إذا اكتشفت أن حبها يعوق زوجها عن إتمام واجبه الاجتماعي.

ويروي التاريخ قصة (أدزوما Azuma) في التضحية ومثلا أعلى للحياة الزوجية بعد أن أحبت رجلا واكتشفت أنه يحاول اغتيال زوجها، فأوهمت عشيقها بأنها اعتزمت الاشتراك معه في القضاء عليه، وفي ليلة شديدة الظلام اتفقت على إتمام ذلك، فتقنعت بقناع يخفي وجهها ولبست لباس زوجها ونامت في فراشه

مستسلمة لسيف عشيقها وهو يطيح برقبتها، وهو يعتقد بأنه قطع رقبة غريمه. فضربت مثلا على التضحية التي تقدم عليها المرأة بطيب خاطر وصدر رحب نحو عائلتها.[٤٥]

تسلسل الحياة في اليابان يسير نحو اضمحلال هذه التعاليم التي تفرضها تطورات الحياة، ونمو الحرية في العالم، وربما هذا ناتج عن ضعف هذه التعاليم في الوقت الراهن ولكن رغم هذا تبقى النفوس في اليابان بين مؤيد ومعارض لهذه الأفكار، ومازالت النظرية الأمريكية بتحرر الفتاة اليابانية وعصيانها على التقاليد والأساليب المتوارثة تلاقي معارضة كبرى ، لأن البعض يعتقد أن هذا لن يؤدي بالمرأة اليابانية إلى ما يتخيله النمط الأميركي من حرية واستقرار خاصة لو تأكدنا أن هذا النهج الأميركي يؤدى بها إلى التخلي عن الحياة المنزلية والاتجاه إلى ميدان العمل الذي يزهق كل ما أعطته لها الطبيعة من خصائص سامية معروفة عنها من الرقة والعاطفة والمشاعر الأنثوية الراقية، ولنا في الانحطاط الذي ضرب "روما" عقب ثورة المرأة وخروجها على التقاليد والأوضاع الأخلاقية دليلا كافيا على خطأ المذهب وفساد الرأي المطالب به.

من التجاهل الأعمى والحمق الساذج أن نفترض عدم التساوي بين الرجل والمرأة فأعتقد أن البوشيدو يرى في جميع محاولاته وأطواره

---

[٤٥] البوشيدو" ايناز وا نيتوبيه.ترجمة/مختار كنعان،ص ١٧٤-١٧٥.عام١٩٣٨.

أن المرأة نظير الرجل ولكن القضية كانت هي العمل على فهمها بصورتها الصحيحة رغم وجود تعاليم دينية تقول أن هناك خلاف كبير بين الرجل والمرأة ، فالمقياس الأنسب لتحديد مكانتها وتحديد علاقاتهما النسبية لاشك ينبغي أن يكون على شيء من العمق والتعقل، ولا يجوز استعمال الاصطلاحات الاقتصادية لتكون مقياسا مركب. فالبوشيدو لها مقاييسها الخاصة التي تزن بها المرأة وأثرها النسبي في ساحات القتال. والحياة المنزلية هي المحترمة الجليلة كربة منزل وأم عائلة شأنها في ذلك شأن المرأة الرومانية التي كانت تتمتع باحترام وإجلال مفرط، ليس لأنها محاربة شجاعة ولكن لأنها أم حنون وزوجة مخلصة. واليابان تتبع هذه النظرية الرومانية حيث تلعب الأم دورا كبيرا في حالة غياب الأب في ساحات القتال أو مشاغل الحياة الأخرى في تكوين النشء وإدارة المنزل إدارة صالحة تتفق مع كل ما في الحياة العائلية من شرف وإخلاص.

كانت المرأة ذات نفوذ وقوة قديما في اليابان، ويتضح هذا من أساطير الخلفية الأولى التي تصور إلهة الشمس (آماتيراسو) حامية كونية لليابان، وكانت متألقة في طفولتها بينما كان أخوها (سوازنوأو) إلها للعواصف ومن سحب أنفاسهما ولدت الآلهة التي تدعي العائلة الإمبراطورية أنها من نسلها، ولكن سوازانو ذا الجلال والهيبة والسرعة – لم يكن لطيفا مع أخته حيث كان يخرب زراعات الأرز في

أراضيها وينتهك حرمة قصرها وكانت مشكلته مألوفة مثل سائر الرجال اليابانيين يفتقد والدته .وفي النهاية أبعد- سوازنو أو- إلى أراضي المناطق النائية وعادت الأضواء التي تشعها (أماتيراسو) بلا عوائق.

الشواهد توحي أن المعتقدات الأولى للأساطير في مجتمع أمي، والمعارك التي تصورها يمكن أن تفسر بأنها تعبير عن انتصارات حققتها مجموعة من النساء على جماعات يقودها الرجال، وكان ينظر إلى النساء على أنهن أقرب من الرجال لما هو سحري وقدسي وبعض النساء اللاتي عاشت أسماؤهن في الأساطير كن شامانات (طبيبات ساحرات) و(زعيمات لعشائر)، حكمت تلك النساء يابان مختلفة اختلافا كبيرا عن يابان العصور التالية ولم تكتب أولى الروايات الواقعية إلا بأقلام الرحالة الصينيين في القرن الثالث الميلادي ومن بعض ما ورد فيها " في سلوكياتهم العادية ولقاءاتهم لا يوجد التمييز بين الآباء والأبناء ولا بين الرجال والنساء"، وكان الرجال والنساء معا في ألفة مع دنيا الطبيعة، في حبورهم وجسارتهم، وعرفانهم بالخير . وديانة الشنتو (神道) هي من المعتقدات الدينية الشعبية التي تقدس قوة الطبيعة، كانت ترى الآلهة في كل مكان – في الشمس والقمر، ومحصول الأرز ومياه النهر، وتكاثرت المعتقدات التي تقدس قوى الخصوبة وما كان أحد ليخفي أو يموه

على مشاعر الحب والود الحميم، وتوحي العلاقات بين الجنسين، وتقاليد الزواج القديمة ببراءة ساكن هذه الأرض من هذه التقاليد .

النساء اليابانيات لا يمكن أن يحققن تقدما في المجتمع الياباني حتى يحرز الرجال تقدما ولا يستطيع أي منهما أن يتقدم حتى يتم التخلي عن فكرة السعادة الصغيرة وفكرة "المرأة ذات السيطرة والرجل ذو المكانة " أو أن تكون المرأة في المكانة الأدنى . والأرجح أن النساء سيقدن اليابان إلى إيجاد حل لهذه المعضلة الحيوية، وإن تمكنت النساء اليابانيات من حل هذه المعضلة الحيوية فسيكون بفضل الأفكار التي تصدت لنشرها(ميتشيكو فوكوشيما) و(ماريكو ميتسوي) والحركة النسوية في سبعينات القرن العشرين.

أن القواعد الخاصة في التربية للمرأة في المجتمع الياباني والقائمة على مفهوم الأخوة الصادقة والحب العفوي يجوز أن تتفق مع الفطرة الإنسانية والتي تضمنتها المبادئ الرفيعة التي أرستها تعاليم البوشيدو ولكن ينقصها دائما الضوابط الدقيقة التي تضمن نقاؤها وجمالها .ومهما يكن من أمر فتعاليم البوشيدو بفضائلها ومبادئها الرفيعة التي اشتهرت بها في معاني البطولة لم تكن حكرا على طبقة الجندية والفرسان دون غيرهم، وإنما أثرت تأثيرا مباشرا على العقلية العامة في اليابان .فلا يمكن أن ننكر أن الساموراي أو طائفة البوشى هم بحق "أشراف اليابان"، فإذا كانت الأمة الإسلامية تعتبر أهل

بيت النبوة هم السادة "الأشراف" فلكونهم أفضل من دافع عن معاني الشرف في أوقات السلم والحرب، وهم خيرة شباب أهل الجنة كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو خيرة من خيرة من خيرة. فقد أثبتوا جلادة وسموا في الجهاد العسكري لم تحظ بمثلهم أرفع الجيوش فلم يقتلوا شيخا هرما أو طفلا رضيعا او أمرأة أو حتى رجلا أعزل . ولم يعرف عنهم سوى قتال الظلمة من المشركين الذين أفسدوا في الأرض من فراعنة زمانهم، ولم تكن معاركهم لتصفية حسابات قديمة اللهم إلا ثأرا لكرامة مظلوم أو دفاعا عن حرمات المسلمين. فالرسول محمد(ص) وصفه المولى سبحانه وتعالى"بالخلق العظيم"، وليس هذا إلا وساما إلهيا تعتز به الأمة الإسلامية لكونه صادرا من رب العزة سبحانه وتعالى. .فإذا كانت البوشيدو قد نعتت كل من انتسب إليها بلقب"ساموراى" واعتبرت هذا اللقب وساما تهون لأجله الروح فأن الإسلام نعت المضحى بروحه بلقب "شهيد"، فالساموراي يجود بنفسه طمعا في تقدير المجتمع ونيل رضاه، ولكن الشهيد في الإسلام يجود بنفسه طمعا في رضا الله والفوز بجنته وشتان بين المعنيين. .